من مظاهر الوحدة :

التعريب بين شقي المغرب

للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

لن نأتي بجديد اذا قلنا ان المغرب العربي الاسلامي استمد ولا يزال يستمد كثيرا من مقوماته الحضارية من شقه الشرقي وخاصة في الحقل الثقافي فالفكر العلمي الاسلامي عندنا ليس سوى امتداد اصيل مبدع للتراث الذي انبثق من قلوب العروبة النابضة في الحرمين ودار السلام والقاهرة ودمشق وحتى بالنسبة للعصور الحديثة فان اسبقية الشرق الى تطعيم الفكر العربي بمعطيات الفكر الغربي المعاصر جعلت من اللغة العربية وهي المفهوم الجوهري للوحدة اداة تتصارع في تصاعد مطرد مع مقتضيات التطور العلمي والتقني الجديد على الصعيد الانساني ولعل من ابرز ما استرددناه من الغرب المستعمر ما كان للفتنا من دقة في التعبير وجلاء في التصوير وضبط في التنظير وقد استطاع الفكر اللاتيني خلال فترة الاستعمار أن يقحم لغته وثقافته في البرامج الدراسية بحصة الأسد حتى اصبحت الفرنسية بالنسبة لجانب مهم من رجال الفكر في المغرب العربي الجهاز الاساسي للتفكير والتعبير هذا بينما ترك نفس الاستعمار اخواننا في الشرق يمرحون في حرية نسبية داخل قفص مقفل معرب البرامج والمناهج ؛ فحركتنا الهادفة للتعريب في المغرب العربي لا تنطلق من نفس الأساس الذي انطلق منه التعريب في الشرق ـ اذا كان هنالك انطلاق للتعريب في الشرق حيث احتفظت العربية في الواقع بمكانتها العريقة مع جمود نسبي ناتج عن عوامل الاستعمار ـ فنحن بالرغم عن جهدنا الجهيد في هذه المرحلة الاولى من استقلالنا الفتي لا تزال اللغة الفرنسية مهيمنة بأجهزة فكرية منظمة على جانب من حياتنا الحضارية الذلك يفكر بعضنا في كثير من الاحايين تفكيرا يستمد جذوره من ثقافة المستعمر حتى ولو كانت لغة تعبيره هي العربية فرسالة التعريب في المغرب العربي هي غيرها في الشرق العربي لان الشرق ينطلق من لغة الضاد فيطعمها بلوازم العصر ونحن ننطلق حتما من المزيج الحضاري الغربي العربي الذي عشناه ونعيشه لتخليق تراث جديد يربط ماضينا المجيد في كامل مقوماته بحاضر انصهرت في بوتقته عناصر علمية وتقنية وحضارية انسانية فالشيء الذي يهمنا الآن هو تحقيق هذا الهدف القريب الذي يستلزم عجن الطينة العربية عجنا جديدا في غير هوادة حتى تصبح لغتنا ـ كما كانت في العصور الوسطى بل اكثر مما كانت في العصور ـ اداة دولية للتواصل بين الاجناس في دقة علمية ورصانة تقنية وتجاوب عميق مع ما استجد في العصر من خلجات وولجات فنحن في المكتب الدائم نعد العدة لهذا التعريب مستمدين من الشرق ما سبقنا الشرق الى تعريبه ومستمدين من الغرب ما يجب أن يدرج بوضوح لتطعيم هذا المدد فلا نقبل من هنا او هناك الا ما يكفل استقصاء عراقة الضاد واستقراء مفاهيم العصر دون لبس ولا غموض فمثلنا مثل الطفل الغرير الذي يسأله والده عن اسم هذه الآلة او تلك فاذا اعطاه اسما ما لمسمى ما قبله ولكن اذا اعطاه نفس الاسم لمسمى مغاير سأل والده

في غرارة الطفولة كيف اذن نفرق بين مسميين لهما اسم واحد فنحن نريد ان يوفر العرب لكل مسمى علمي قديم اوحديث كلمة موحدة تعبر عنه في جزالة وجلاء ونحن اذا نقدنا ما بين أيدينا من غث وسمين مما يرد علينا من الشرق فلسنا بزاعمين اننا نلقن الشرق الا بقدر ما يلقن الطفل والده أو التلميذ استاذه في نطاق الاستمداد البناء واذا كان هنالك شيء سيفيده الوالد من ولده والاستاذ من تلميذه في هذا المجال فهو احراج هذا ذاك لتعبئة ما له من خبرة اوسع وحنكة أدق وتجربة ابلغ لتجلية الدلالة وتعميق الاصالة وتدقيق العبارة وتوحيد الاشارة .

وقد زاد في الطين بلة بين شقي العروبة ما بين قوام الاستعمارين اللاتيني والانجلو سكوني من بون يتسع احيانا ليعمق الهوة بين الثقافتين الاجنبيتين اي بين ينبوعي الاستمداد النسبي في حضارتنا الموحدة فالمقابل العربي المقترح للتعبير عن مدلول علمي أو تقني حديث مستمد من خلال هذه اللغة او تلك يختلف في بعض الاحايين الى حد التناقض لما يكون احيانا بين اللغتين من نشاز لا يتلافاه الا من تضلع فيهما ونظر بين قواميهما لاستخلاص القدر العلمي المشترك او المشاع بينهما ويكفي لتدرك هذه الظاهرة ان تقارن بعض ما يرد عليك من دمشق ببعض ما يرد من القاهرة لتلمس صعوبة مجرد التنسيق ولا نقول التوحيد ونحن نعلق على اتحاد المجامع الثلاثة في القاهرة ودمشق وبغداد اكبر الآمال لتقريب الهوة وتنوير الصوة لان رسالة التوحيد يجب ان تنبثق في الحقيقة من هذه المجامع اذ لا نتجاوز نحن تجميع وتنسيق ما تتحفنا به هي نفسها غير ان خبراءنا في الوطن العربي يدفعون دفعا الى ان يتساءلوا ويلحفوا في التساؤل، انتجاعا للدقة، عما تنطوي عليه بعض المقابلات العربية الشائعة والمقترحة من لبس وسطحية أو عما يتم عنه أحيانا معجمنا الجديد من تنكر للاصالة وللدقة والوضوح .

وهذا مشكل لا تحله معاجمنا التي ترصص في صف واحد ما يستعمل هنا وهناك في أجزاء الوطن العربي مضيفة احيانا ما يوحي به اللفظ الاجنبي بكامل الدقة وتاركة لمؤتمرات التعريب المقبلة اصدار الكلمة الفاصلة في ذلك فهذه مرحلة أولى وضرورية للتوحيد فيها جرد للتراث وتقييم لمعطياته يسهلان مهمة الانتقاء .

فمجامع اللغة والمجالس العلمية العليا والاتحادات التقنية يجب ان تقوم بالبادرة الاولى لتسهيل عملية التنسيق في المكتب انطلاقا من اختصاصها وعلى المكتب أن يجمع وان ينسق في استقراء واف واستقصاء كشاف واستكمال للمفاهيم بالمقارنة والتنظير بين محتويات القواميس والمعاجم قديمها وحديثها صحيحها وسقيمها على اختلاف لغاتها وخبرات اصحابها ولا شك ان بذلك تتكون حصيلة لغوية صالحة تساير العصر وتجعل لغة الضاد جديرة ـ كما كانت ـ بأن تفرض وجودها في المحافل الدولية لا استجابة لعوامل وضغوط سياسية بل استنادا الى قيمة حقيقية علمية وتقنية للغتنا كأداة أممية للتقارب والتواصل .

ان سلفنا قد كد واجتهد لاحلال اللغة مكانتها العالمية المرموقة ونحن يجب ان نواصل هذا الجهاد بسلاح العصر ومراوغات العصر للاحتفاظ بهذه المكانة وتصعيدها اذا اقتضى الحال .

واذا كان الناس يعرفون ما حققه الشرق العربي من بادرات لكفالة هذا الاستمرار والاستقرار في مختلف الامصار والاعصار فان الكثير لا يعرفون بدقة مدى اسهام المغرب العربي في هذا الجهاد فلذلك ندعم هذه الديباجة بفذلكة موجزة هي انموذج مبسط يلقي ضوءا على جانب من المبادرات المغربية عبر الاجيال في هذا الحقل الحيوي من جهادنا الحضاري المشترك .

وتجدون في غير هذا المكان من هذا العدد الممتاز معيجما للقويين يبرز جزءا من التراث اللغوي المغربي الذي هو امتداد اصيل لتراثنا العربي العام .